

فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يقدم

من سلسلة "قصة رواها الرسول"

الغلام المؤمن وأصحاب الأخدود



لفضيلة الشيخ: جمال المراكبي

رابط المادة: <http://www.way2allah.com/khotab-item-30688.htm>

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد روى لنا الإمام أحمد والإمام مسلم في الصحيح من حديث صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "كَانَ مَلِكٌ فِيْمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ، كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ، وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فِإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ.

فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ، فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجْرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ، فَأَقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ.

فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيُّ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ، فَأَمِنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ.

فَأَتَى الْمَلِكُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيُّ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنِ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنِ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاؤُهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنِ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرُوتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنِ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرُحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَجَرَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟

قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْفُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَاذْكَرْتَهُمْ بِهِمُ السَّفِينَةَ، فَغَرِقُوا وَجَاءَ بِمُشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ.

فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَآتَى الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ، قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكِّكِ، فَخُدَّتْ وَأَصْرَمَ النَّيْرَانُ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، فَاحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ اصْبِرِي، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ" صحيح مسلم

وقد رُوِيَ أَنَّ الْغُلَامَ عُثِرَ عَلَيْهِ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، بَعْضُ النَّاسِ حَفَرُوا فِي الْأَرْضِ فَوَجَدُوا جِثَةَ الْغُلَامِ؛ فَأَخْرَجُوهُ، فَإِذَا هُوَ وَاضِعٌ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ، فَإِذَا رَفَعُوا يَدَهُ مِنْ عَلَى صُدْغِهِ سَالَ الدَّمُ، فَإِذَا تَرَكَوهُ عَادَتْ يَدُهُ إِلَى صُدْغِهِ، فَأَمَرَ عُمَرَ بِدَفْنِهِ، وَقَالَ: "ادْفِنُوهُ كَمَا هُوَ".

الشواهد في هذه القصة كثيرة:

أولها: أن العلم بالتعلم، والسحر أيضًا بالتعلم، لكن علم السحر هو علم لا ينفع؛ بل علم يضرُّ بأصحابه "وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ" البقرة: ١٠٢، هكذا قال ربُّنا تبارك وتعالى.

الأمر الثاني: إثبات الكرامة للأولياء، هذا الغلام كان يُرى الأكمه والأبرص، وهي أمراضٌ لا تبرأ عادة، لكن أقدره الله على هذا، الغلام يَرُدُّ الْأُمُورَ إِلَى رَبِّهَا، وَإِلَى بَارِيهَا، إِذَا قِيلَ لَهُ: "أَنْتَ تَشْفِي" يقول: "لا، إنما يشفي الله"، الله هو الذي يشفي، ولهذا أنا أقول لكل مريض: ضع يدك على موضع الألم وقل: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ سبع مرات وانتظر الشفاء من ربِّك.

وَإِذَا عُدْتَ مَرِيضًا فَادْعُ اللَّهَ لَهُ بِالشِّفَاءِ وَادْعُ لَهُ بِدَعَاءِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ: "اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ اذْهَبِ الْبَأْسَ اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا" صحيح البخاري

إنما يشفي الله، الشفاء من الله "وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ" الشعراء: ٨٠

كرامة الولي على الله، وكيف أنه قتل الدابة، وميّل الغلام إلى الراهب، وإلى دين الراهب، لأن الساحر يأتي بعلم الخزعبلات والتّمويهات، أمور تحرق العادة فيما يرى الناس في البصر، لكنّها في الحقيقة أمور شيطانية..

أمور ليست بتدبير من الله، ليست بفضل من الله، ليس فيها نفع على خلق الله، وإنما أمورٌ يُوحِيها الشيطان إلى أوليائه، يوحِيها الشيطان إلى أوليائه لِيُضِلَّ، لِيُفْسِدَ، ثم انظروا، انظروا إلى الخوف الطبيعي عند الراهب، قال "لا تَدَلَّ عَلَيَّ" مع أنه يعلم أنه سيَدُلُّ عليه، وتأثير العذاب حتى على الغلام دَلَّ على الراهب.

لكن انظروا إلى صبر الراهب وصبر جليس الملك وثباتهم على الحق، وُضِعَ المنشار في مفرق رأس أحدهم فَشُقَّ بالمنشار نصفين وهو ثابتٌ لا يتزعزع عن دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

هكذا قالها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَبَابِ بْنِ الْأَرْثِ مُثَبِّتًا لِيُثَبِّتَ حِينَمَا عُدُّبَ، ونحن الآن بفضل الله لا نُعَدَّبُ ولا نتعدَّب، بل جاءنا الدين سهلاً ميسوراً، أفلا نثبُت على أحكامه؟! أفلا نصبر على تطبيقه وتنفيذه؟! أفلا نصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

ثم انظروا لدعوة الغلام: "اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ"، حملوه على أعلى جبل، ولا شك أنه كان مُقَيِّداً وهم يحملونه، وهم الذين سَيَتَوَلَّوْنَ إلقاءه من فوق الجبل، فإذا به يقول "اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ"، أنت الذي ترى كيف تُنْقِذُنِي منهم فيرجف الجبل ويُرْزَلُ، فيسقطون جميعاً فيموتون، ويعود الغلام ماشياً، ولا يَفِرُّ الغلام ولا يهرُب، وإنما يعود إلى الملك ليثبت له قوة الإيمان وأن الله أقوى منه، هذا المُدَّعي، فيأمر به أن يُقْتَلَ في البحر، فيقتل كل الناس، ويعود الغلام سليماً مُعافى، لأنه لجأ إلى الله واحتسب بالله "اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ".

الغلام يجود بنفسه.. غايته أن يؤمن الناس

ثم يعرض على الملك عرضاً تريد أن تقتلني؟ أنا أدُّلُّك، وهنا الغلام يجود بنفسه، غلام! نحن نتكلم عن غلام، لم يبلغ الحُلُمَ يجود بنفسه لله، لأن الغاية أن يؤمن الناس، الغاية أن نُعَبِّدَ النَّاسَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ سبحانه وتعالى.

فيقول له: "إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ" فيقول له الملك: قُلْ، فيقول: تَصَلِّبُنِي وَتَدْعُو النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، الناس ستفترج، ثم تأخذ سهماً من كنانة الأسهم التي معي فترميني به وتقول باسم الله ربَّ الغلام إن لم تفعل هذا لن تقتلني، الملك غبي، الكفر والشرك وإغواء الشيطان أزال العقل تقريباً، فلم يُفَكِّرْ في عاقبة هذا الأمر، بل جمع الناس وصلب الغلام على جذع شجرة، وفعل ما أمره الغلام، رماه بالسهم، فوقع السهم في صدغ الغلام، والصدغ هنا مكان لا يُميت، جرحٌ سطحيٌّ، لكنَّه لما وقع في صدغه، الإصابة بسيطة، يسيل بعض الدم، لكن لا يتأثر الغلام، لكن الغلام وضع يده على صدغه فمات على الفور، مات الغلام وجاد بنفسه، لكن انظروا إلى النتيجة، الناس قالوا في صوت واحد: "آمَنَّا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِ"

ثبات المؤمنين على الحق

رَأَوْا الْآيَاتِ، كان يُرَى الأكمه والأبرص، ومع هذا كثيرٌ لم يؤمن، فلما وجدوه يموت هذه الميتة، التي ما أعظمها وما أجملها شهادةً في سبيل الله، فتح الله قلوبهم للإيمان، ولكن الملك الظالم بحاشيته، بجنوده عاقبهم أشد العقوبة، "إن لم ترجعوا عن دينكم سنحرقكم بالنار" فحفرُوا حُفْرَ عَظِيمَةٍ، وشقوا أخاديدَ كبيرةً، وأضرموا فيها النيران، وجعلوا

يُلقون بالمؤمنين فيها، وأنزل الله تبارك وتعالى: **"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدِ وَمَشْهُودِ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ" البروج ١: ٤**

ثم انظر إلى هذه الكرامة، الأم التي رأت الناس يقعون في النار فيصيرون حَمَمًا وفحمًا وحطبًا، خافت على وليدها، لأن الإنسان بطبعه يريد لولده طول العمر والسعادة في الدنيا، فإذا بالولد ينطق، الرضيع ينطق: "يَا أُمَّهُ قَعِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ"، تتهيأ لقلب هذه الأم، ما أحوجنا! ما أحوجنا إلى أن نعود إلى الله! ما أحوجنا في زمن الاعتداء على المسلمين في بقاع الأرض أن نقول **"اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ"**! فالله هو الكافي، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفرغ الدروس تفضلوا هنا:

<http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36>